﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٢٥﴾ [السجدة: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد إجمال الحديث عن أهل الهدى تَحسُنُ الإشارة إلى المخالفين

لمّا ذكرتِ الآية السابقة وجود أئمَّة هدًى في بني إسرائيل؛ عُلِم أنَّ هناك من خالف هؤلاء الأئمَّة، وهذا ممّا جرت به عادة البشر من وجود فريق الحقِّ والضَّلال، فناسب ذكر الحكم بين الفريقين، فذكرت الآية أنَّ الله ﷻ هو من يفصل بين أهل الحقِّ وأهل الباطل يوم القيامة، وليس الأمر بالضَّرورة أن يكون في الدُّنيا، سواء قلنا بين بني إسرائيل على ما يقتضيه خصوص السياق، أو بين عموم البشر على ما تقتضيه دلالةُ العموم، ويدخل بنو إسرائيل دخولًا أوّليًّا.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَفۡصِلُ﴾: (فصل) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمييز الشَّيء مِنَ الشَّيء وإبانته عنه، يُقال: فصلت الشَّيء فصلًا[1]، والفَصْلُ: إبانة أحد الشَّيئين من الآخر حتى يكون بينهما فرجة، ويُستعمل ذلك في الأفعال والأقوال نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٠﴾ [الدخان: 40]، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ [الصافات: 21]، أي: اليوم الذي يبيِّن الحقَّ مِنَ الباطل، ويَفْصِلُ بين الناس بالحكم[2]، وهو المقصود في الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يوم الفصل لا ظلم ولا هزل

تُخاطب الآية الكريمة رسول الله ﷺ، مخبرةً عمّا سيكون بين فريقَي الهدى والضلالة يوم القيامة مِنَ الحكم بين الناس، وبيان

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فصل).
(2) الراغب، المفردات: (فصل).

مآل الاختلاف الذي كان بينهم في الدُّنيا، فيُميَّز بين المحقِّ والمبطل يوم القيامة، ويجازي كلًّا بما يستحقُّ، فيما اختلفوا فيه من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصل الآية عن سابقتها:

وجودُ الاختلاف بين أتباع النَّبيّين سنة اجتماعية

فُصِلَتِ الآية الكريمة عمّا قبلها؛ لأنَّها استئنافٌ بيانيٌّ، فقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ يُثير سؤالًا في نفس السامع من المؤمنين الذين سمعوا الآية السّابقة، فما حال بقيَّة بني إسرائيل، هل كانوا مهتدين، أو كان فيهم أئمَّة ضلالة؟ فكان الجواب: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بما سيكون بين الفريقين في الآخرة.

فائدةُ تتابعِ المؤكِّدات:

الاختلافُ في مسائلِ الهدى والضَّلال مؤذِّنٌ للفصلِ يومَ القيامة

جاءت الآيةُ الكريمة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ مؤكَّدة بعدد من المؤكِّدات، وهي: ﴿إِنَّ﴾، وضمير الفصل، واسميَّة الجملة، وفائدة ذلك تحقيق الأمر في نفوس المخاطَبين، وأنَّ الاختلاف بينهم له أثره البالغ المترتِّب عليه حكمٌ فاصل، مع زيادة تثبيت القصَّة والحكم بأنَّ الله بيده الفصل والحكم بين أفراد بني إسرائيل الذين ضلّوا، وحادوا عن طريق الحقِّ، وفيه تثبيت ليقين المؤمنين ببيان أهل الصدق من أهل الكذب.

غرضُ اختيار عنوان الرُّبوبيَّة:

الفصل بين العباد من مقتضيات الرُّبوبيَّة

آثر النَّظمُ الكريم اختيارَ عنوان الربوبية، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾؛ لأنَّ الاعتناء والكلاءة وكمال الاهتمام من مقتضيات الربوبيَّة، فكان ذكر الرَّبِّ هو الأنسب،

(1) الصابوني، صفوة التفاسير: 2/ 465.

إضافة إلى أنَّ الرَّبَّ هو المحسن للنَّبيِّ بإيصاءِ الأنبياء به، فوصفه في كُتُبهم، وجعله صاحب لواء الحمد يوم القيامة[1]، وقد جاء لفظ الرَّبِّ في السورة سبع مَرّات، وهو سببٌ رئيس في إيثار التَّعبير بالربوبيَّة، أمّا لفظ الجلالة (الله)؛ فلم يرد في السورة على مدارها إلّا مَرَّةً واحدة.

غرضُ إضافة لفظ الرُّبوبيَّة إلى ضمير الخطاب:

كـرامـةُ النَّـبـيِّ حـاضـرةٌ في خطابٍ مستمرٍّ إلى يوم القيامة

أُضيف لفظُ الربوبية إلى ضمير المخاطَب المرادِ به النَّبيُّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ لغرض تكريم الرَّسول ﷺ وتشريفه، فالمضاف يكتسب كرامته ممّا أُضيف إليه، وفي كاف الخطاب دلالة على أنَّ رَبَّه هو الذي علَّمه، وأعلمه ما كان في الأمم السابقة، ويحتمل أن يكون الخطاب للنبي ﷺ، والمراد أمَّته؛ تحذيرًا وإيماءً إلى وجوب تجنُّب الاختلاف الذي لا يدعو إليه داعٍ في مصلحة الأمَّة وفهْم الدين[2].

غرضُ القصر بضمير الفصل:

اختصاصُ الله ﷻ بالقضاء بين البشر مع قطع معذرتهم

جاء ذِكرُ ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ للقصر بغرض التَّخصيص والتَّأكيد وبيان أنَّ الفصل في يوم القيامة ليس إلّا إليه وحده، ولا يقدر عليه أحدٌ سواه، ولا يُفوَّض إلى مَن عداه[3]، وفي هذا دليل على أنَّه هو وحده الحاكم يوم القيامة لا شريك له؛ إيماءً إلى أنَّ ما يُذكر في القرآن من بيان بعض ما اختلفوا فيه على أنبيائهم ليس مطموعًا منه أن يرتدعوا عن اختلافهم، وإنَّما هو للتسجيل عليهم وقطع معذرتهم؛ لأنَّهم لا يقبلون الحجَّة فلا يُفصل بينهم إلّا يوم القيامة[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 9/ 190.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 238.
(3) إسماعيل حقي، روح المعاني: 7/ 127.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 21/ 238.

بلاغةُ استعمال مفردة الفصل:

كـــثرةُ دلالات فـعـل الـفـصـل من قطع وتنحية ومـــطـــاوعـــة ومباعدة

جاء اختيار فعل ﴿يَفۡصِلُ﴾ دون (يقضي) - في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ - للدِّلالة على القطع والتنحية وكونه حاجزًا بين الشَّيئين[1]، وهذا دالٌّ على قوَّة الحسم، والعدالة المطلقة من قِبَل الله ﷻ، كما أنَّ الفعل فيه معنى المطاوعة مع اقترانه بمطاوعه، فإنَّه يُقال: فصلته، فانفصل[2]، ففيه مع القوَّة والجزالة اليسرُ والسهولةُ بالنِّسبة لله ﷻ، فإذا فصل بين العباد فُصل بأيسر الأمور، مع ما فيه من المباعدة والتفريق بين المتخاصمين، يُقال: فصل الشَّيْء عَن غَيره فصلًا، أي: أبعده[3]، فلأجل هذه الدِّلالات والمعاني جيء بهذه المفردة دون رديفاتها.

تعيينُ مرجع الضَّمير:

أولى الأقـوال في القبول العمومُ ويـدخـل فيه ما دلَّ عليه السّياق

يحتمل مرجع الضَّمير في قوله تعالى: ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أن يعود على الأنبياء وأُممهم، أو على المؤمنين والمشركين[4] عامَّةً، ويجوز أن يعود الضمير هنا على أهل الصلاح وأهل الضلال من بني إسرائيل بدلالة السياق القرآني، وتعدُّد المرجع يُعطي اتِّساعًا في الفهم، والتركيب يحتمل تلك الاحتمالات، وأولاها في القبول العموم؛ لدخول البقيَّة فيه، والسياق وإن كان لدلالته حضور، فإنَّ للعموم قبولًا لا يُتغاضى عنه.

توجيهُ تخصيص اسم القيامة بالذِّكر:

الـقـيـامـةُ هو الاســم الـعـلـم الأشهر على يوم الفصل والجزاء

آثر النظم الكريم اختيارَ اسم يوم القيامة بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، دون البعث والجزاء والحساب والفصل والتغابن؛ وذلك لأنَّ اسم القيامة هو الاسم العلم الأشهر

(1) ابن سيده، المحكم: (فصل).
(2) الجوهري، مختار الصحاح: (فصل).
(3) المعجم الوسيط: (فصل).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 87.

على ذلك اليوم، ودلَّ فعل ﴿يَفۡصِلُ﴾ على غاية الخبر وفائدته، فكان ذِكرُ القيامة مناديًا على جميع المنتسبين للرِّسالات الإلهيَّة، ورادًّا على المنكرين للبعث مِنَ المشركين.

دلالةُ استعمال حرف الظَّرفيَّة:

الإحـــاطـــة الشاملة بأفعال العباد دقيقها وجليلها

استُعمل حرف الظرفية في قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾؛ للدِّلالة على العموم والشمول للذي كان يختلف فيه المختلفون، فيشتمل على جميع الاختلافات ما دقَّ منها وما جلَّ، مع الإحاطة الشاملة بكلِّ أفعال العباد؛ ليجازي كلًّا بما صنع، إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًّا؛ فشرٌّ، فكان في حرف الظرفية إشارةٌ إلى سَعة علم اللّه تعالى، وعدله المطلق.

بلاغةُ اختيار الاسم الموصول (ما):

كـثرةُ اختلافهم واتِّـســاعــه في جميع المجالات

جاء استعمال الاسم الموصول (ما) دون (الذي) في قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ﴾؛ لأنَّه أعمُّ وأشمل، حتى قال النُّحاة: إنَّه يقع على كلِّ شيء، ويقع على ما ليس بشيء؛ لأنَّه اسم مبهمٌ شديد الإبهام[1]، وهو دالٌّ على استيعابه لكلِّ ما اختلفوا فيه، وكأنَّهم ما وُجِدوا إلّا ليُحدِثوا اختلافًا فيما بينهم، فعموميَّة (ما) دالَّةٌ على عموميَّة اختلافاتهم وكثرتها؛ بدلالة الفعلين ﴿كَانُواْ﴾، و﴿يَخۡتَلِفُونَ﴾ الدّالَّين على الاستمرار؛ لذا كان استعمال (ما) أدقَّ مِن (الذي).

غرضُ تقديم شبه الجملة:

العـنـايـةُ ببيان سـبـب الـفـصـل ورعاية الفواصل

قُدِّم الجارُّ والمجرور على الفعل في قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾، فلم يقل: (فيما كانوا يختلفون فيه)؛ للاهتمام والتخصيص، فإنَّ ذِكر المختلف فيه ملحوظٌ فيه التَّنبيه على سبب الفصل، فما حُكِم بينهم إلّا بسبب وجود عِلَّة الاختلاف، مع مراعاة الفاصلة، فهما غرضان، أحدهما دلاليٌّ، والآخر لفظيٌّ.

(1) السهيلي، نتائج الفكر في النحو، ص: 139.

نكتةُ استعمال مفردة الاختلاف مادَّةً وصيغةً:

المختلفون مواقفهم شديدةُ التَّباين بقصدٍ وثبات

جاء استعمال فعل ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ دون (يختصمون)، ونحو ذلك من الأفعال الرديفة؛ وذلك لأنَّ الاختلاف أعمُّ الأفعال في هذا الباب، فيدخل فيه التخاصم والتجادل والمماراة والشِّقاق، ويُومئ فعل الاختلاف إلى تباين المواقف؛ لأنَّ الاختلاف أن يأخذ كلُّ واحدٍ طريقًا غير طريق الآخر في حاله أو قوله[1]، وهذا سبيل المختلفين من المؤمنين والكافرين، لكلٍّ طريقه الذين يسلكه، ولمّا كان الاختلافُ بين الناس في القول قد يقتضي التَّنازع؛ استُعير ذلك للمنازعة والمجادلة[2]، وجاء فعل (اختلف) على وزن (افتعل)، وهذه الصيغة دالَّة على العمل تلو العمل، والاكتساب والتَّصرُّف، ففيه قصديَّة بالتقابل الشَّديد بين رأيين لمحاولة تغلُّب كلٍّ منهما على مخالفه، والفعل المضارع يُفضي إلى الاستمرار في الخلاف والدوام مع ما فيه مع استحضار صورة كلِّ فريق يخالف الآخر.

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (خلف).
(2) الراغب، المفردات في غريب القرآن: (خلف).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والأربعون،
سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2025.
مج. 44 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-97-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 44 : المجلد الرابع والأربعون، سورة لقمان من الآية 21 إلى سورة الأحزاب الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-97-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4197137 بتاريخ 2025/01/02م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»